الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

Faculty:		كلية:	كلية أصول الدين والحضارة والشريعة
Departement:		قسم:	الكتاب والسنة

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

✓ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	✓ السداسي:
Academic Pedagogical Publication Addressed to: السنة الثالثة نظام الـ: أل. أم. دي.	Semester:

Domain:		✓ الميدان:	التفسير الموضوعي
Field or subfield:		✓ الشعبة:	شعبة الدعوة والثقافة الإسلامية
Specialization:		✓ التخصص:	التفسير وعلوم القرآن
Submitted by:		إعداد الأستاذ(ة):	هلال خزاري

اعداد الأستاذ(ة): هلال خزاري Submitted by: ----------

السنة الجامعية (Current Academic Year): 1430 . 1431هـ/ الموافق 2009 . 2010م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين والحضارة والشريعة

مذكرة مادة التفسير الموضوعي

السنة الثالثة نظام الـ: أل. أم. دي. L.M.D

قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

شعبة الدعوة والثقافة الإسلامية

اعداد الدكتور هلال خزاري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، قسم الكتاب والسنة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

العام الجامعي: 1430 ـ 1431هـ/ الموافق 2009 ـ 2010م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونشكره، نستعينه ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فما له من مضل. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

نقدم لطلاب قسم الدعوة والاعلام بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ولطلاب التفسير عموما، منهجاً سهلاً في مادة التفسير الموضوعي حيث نتعرض فيه للتعريف بهذا العلم، ثم نعرض فيه نماذج لموضوعات في عالم الاتصال والحوار السليم الذي يوصل لنتائج مرضية وليخرج الطالب بتصور كلي للتفسير الموضوعي عموماً ولنوع من أنواعه وهو التفسير التجميعي في دراسة موضوع ما من موضوعات القرآن الكريم، ولتحقيق الغاية من نزول القرآن الكريم، وهي؛ تحصيل التقوى والهداية والعمل بموجب أوامره.

سيتعرف الطالب على جملة من المعارف العلمية تعرفه بعالم الاتصال الصحيح المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن العلوم الحديثة.

وكما اتشرف بتقديم هذه المذكرة في التفسير الموضوعي لطلبتنا الكرام بقسم الدعوة والثقافة الاسلامية بمرحلة الالم دي، أشير إلى أن هذه المذكرة كما أنها تحتوي على مادة علمية لطلبة التخصص فهي كذلك صالحة لغيرهم من القراء، إذ تساهم في فهم الفرد لبعض جوانب الإسلام فيما يتعلق بالحوار والاستماع والفهم للطرف الآخر والتفاهم معه بالنقاش للوصول إلى نتيجة ترضي الطرفين معاً فيتفقا ويتعاونا بدلاً من أن يختلفا ويتفرقا ويتشاحنا كما قال تعالى: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}[1]. إذ الإنسان عنده طاقة حيوية يُسير بها جسمه، فمتى عرف كيف يبقى متوازناً معتدلاً مسامحاً في الغالب كريماً معطاء خدوماً محباً للخير للغير، ظل يومه سعيداً قوياً نشيطاً، وما تعود عليه به بركات وخيرات **العبادات** متى أداها كما ينبغي، وبخشوع وتأمل وتدبر واقبال حقيقي على الله، فإن الإنسان في حياة الناس اليومية إذا أحب أن يقابل مسؤولاً كبيراً فيقيم عدة اعتبارات لما سيقوله له من كلمات، يعدها ويهيء نفسه للموقف جيداً، وكيف يحاول أن يربح هذا الموقف وينجح فيه، ولا يخسره، ولو كان الإنسان متأكداً من أنه سيخسره أو لا ينجح فيه، يلغيه ويتركه ولا يذهب اليه، ويعدل عنه طالباً طرقاً أخرى، فإذا كان هذا هو الموقف مع الانسان وهو غير كامل، والكمال ليس إلا لله، ثم للانبياء، فما بالك في التعامل مع الله تعالى.

كثير من عامة المسلمين اليوم غطت عليه الغفلة والمعاصي والران وسوء فهم الدين في الكثير من المواقف وعدم الإيمان الحقيقي بيوم القيامة، وعدم اعتباره، واعاء وقت للتفكير فيه أصلاً، وغفلة الناس عن الآخرة؛ وأنها هي الدار الباقية، وأنها خير وأبقى، وأن الدنيا مزرعتها،

---

[1] . سورة الأنفال، الآية 46.

ولولا الآخرة لما كانت الدنيا، وأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، وعمل؛ بالمعنى الايجابي، ليست دار تضييق وخناق على الفرد كما يفهم البعض فهماً مغلوطاً للدين، والدين منه براء.

ولقد اعجبتني كلمة سمعتها من الدكتور إبراهيم الفقي، قال: "لو كان أمر الصلاة كل من لا يصليها كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم تفرض عليه غرامة مالية، نتيجة مخالفته، كما في مخالفة قانون المرور، لأخذ جل المصلين عقوبات مخالفة.

فليرح الانسان نفسه ويسامح حتى يحصل على الشفاء البدني وراحة البال، وصحة الجسم، وسلامته من الأمراض، أمراض ضغط الدم، القلق، التوتر، السكري، قرحة المعدة؛ وغيرها من أمراض العصر ومشاكله النفسية، قال تعالى: {فمن عفا وأصلح فأجره على الله}[2].

لقد سيطرت المادة وحب الدنيا، والتنافس فيها على كثير من المسلمين في قارات الأرض، يتساوى في ذلك المسلم العربي والأعجمي في مشارق الارض ومغاربها، وغاب العدل الاجتماعي بين الكثير والكثرة الغالبة من المسلمين، حتى بين الدول وأفرادها، فالإدارات يحكمها القانون الغربي، البعيد في بعض مواده عن شريعة السماء، بل مناهض لها أحياناً كثيرة، تلك القوانين منها ما يدخل الناس ويجبرهم على التعامل بالحرام، وشبهات القروض الربوية، وكان بإمكان الدولة أن تفتح القرض الحسن فيبارك الله للكل، ولكن يمحق الله الربا ويربي الصدقات، وصدق الله العظيم في ذلك.

وما أخطار وظلال الأزمة المالية العالمية الماضية لو لم تجد بعض الحكمة والرشد من أهل الاقتصاد والمتخصصين في المال ممن قالو لا خروج من الأزمة إلا بالتقليل من الفوائد الربوية أو إلغائها نهائيا لكي يستقر الاقتصاد العالمي، لانهار اقتصاد دول تظن نفسها دولا كبرى، اقتصادها قائم على الربا، والخير فيما شرعه الله لنا: {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون}[3]، وقد قال تعالى أيضاً: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين}[4]، وقال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[5]. وقال تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}[6]. إن أمر الله لا بد أن يطبق لكي ينجو المسلم ويعيش سعيداً في دنياه وآخرته: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}[7]. إذ الحكم ينبغي أن لا يكون إلا لله، فإذا كان الأمر كذلك أمكن لمن عاش من المسلمين كذلك أن يعيش سعيداً في دنياه وأخراه.

---

[2] . سورة الشورى، الآية 40.

[3] . سورة البقرة، الآية 138.

[4] . سورة آل عمران، الآية 85.

[5] . سورة المائدة، الآية 3.

[6] . سورة التوبة، الآية 128.

[7] . سورة الأحزاب، الآية 36.

عزيزي الطالب/ الطالبة، أأمل منك دراسة جيدة لهذه المادة والتطبيق لما جاء فيها في حياتك اليومية، لتسعد في الدارين.

واتنظرك لتتمة الموضوعات في المذكرة الثانية في الفصل الثاني إن شاء الله

وأساله تعالى التوفيق والقبول والاخلاص.

د/ هلال خزاري

أستاذ محاضر للتفسير وعلوم القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة.

أولاً: القسم النظري

مقدمات نظرية حول التفسير الموضوعي

. التفسير الموضوعي، المراد به؟ نشأته وتطوره، علاقته بالتفسير التحليلي والتفسير البياني. أسباب الاهتمام به؟ أهميته؟ أنواعه، ألوانه أو أقسامه واتجاهاته؟ مشاكله أو المشكلات التي واجهها؟

أولاً: تعريفه:

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين ركبا تركيباً وصفياً فنعرف الجزأين ابتداء ثم نعرف المصطلح المركب منهما.

فالتفسير لغةً: من الفسر وهو كشف البيان، قال الراغب: "هو إظهار المعنى المعقول".

واصطلاحاً: الكشف عن معاني القرآن الكريم..

والموضوع لغةً: من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى **الإلقاء والتثبيت في المكان**، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، و**هذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي**، لأن **المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده**.

أما تعريف (التفسير الموضوعي) علماً على فن معين، فقد عرِّف عدة تعريفات نختار منها ما نظنه أجمعها وأخصرها وهو: **علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر**..

. مؤلفات تعتبر نواة التفسير الموضوعي: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تفسير الراغب الأصفهاني، تفسير ابن كثير وغيرها..

. موقف العلماء من هذا النوع من التفسير؟

أسباب الاهتمام بالتفسير الموضوعي

. طروء الموضوعات إلى عالم الوجود ووجود ضرورة لفهمها من القرآن، وشيوع ثقافة الرجوع الى القرآن كمصدر للتشريع بعد الغياب عنه في فترة الاستعمار الحديث

. الواقع الاجتماعي.

. تحدي الثقافة الغربية.

. التطور العلمي.

. التفسير الموضوعي يمتلك قدرة بالغة في المحاججة والدفاع عن الإسلام والعقيدة الإسلامية.

. زيادة الاهتمام بالتفسير الموضوعي كمنهج جديد وبارز في التفسير.

. قلة الاهتمام بالتفسير المعهود؛ التفسير التحليلي، الذي يبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

تاريخ التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي بدأ مبكراً في تاريخ الإسلام كما سبق وكتب **الجاحظ** عن النار في القرآن الكريم، وكتب **ابن تيمية** رحمه الله رسالة عن لفظة **"السنة" في القرآن الكريم**.

كما نضج **علم الوجوه والأشباه**، أو **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** الذي يدرس مفردات القرآن الكريم في كل وجوه استعمالها في إطار القرآن نفسه.

إلاّ أن المنهج ما كان واضحاً إلى درجة يمكن فيها **التنظير العلمي له**، ولهذا لا نجد من بين كل الذين كتبوا في التفسير من قعّد لهذا المنهج، وحتى في بداية القرن الماضي عندما كتب الشيخ محمد عبده تفسير جزء عمّ، ثم تفسير المنار استخدم تقنيات التفسير الموضوعي، من دون أن ينظِّر بشكل علمي لهذا المنهج.

. الوحدة الموضوعية في القرآن" **للشيخ محمود محمد حجازي**، وهو موضوع أطروحته للدكتوراه في الأزهر سنة 1967م، ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام يزداد بهذا النوع من التفسير.

اتجاهات التفسير الموضوعي:

أو فلنقل أنواع التفسير الموضوعي وهي ثلاثة:

1. النوع الأول: دراسة المفردة القرآنية (علم الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر).

وهو **دراسة لدلالة المصطلحات والمفردات القرآنية داخل القرآن الكريم وفي حدوده فحسب**، وبالرغم من أن هذا النوع من التفسير لكلمات القرآن يعتمد مبدأ "الوحدة العضوية" أو "البنائية" للقرآن الكريم فإن **بعض الباحثين لا يعتبره من التفسير الموضوعي، ذلك أنه لا يعطي صورة كاملة عن موضوع ما أو سورة ما، ولكن تفسير مفردات القرآن وتحديد دلالة مصطلحاته هو في الواقع تحديد للمفاهيم.**

وهذا النوع من التفسير يجد جذوره في **علم الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر** المعروف في علوم القرآن الكريم، وقد بدأ الاهتمام به في وقت متأخر، ذلك أنهم **اكتشفوا أن المشكلة الأساسية في أي تفسير تكمن في التعامل مع القرآن مجرّد تعامل لغوي دون الانتباه إلى إمكانية أن يكون في تلك المفردات ما هو اصطلاح قد يغير جذرياً التفاسير المعهودة.**

وفي هذا النوع يتتبع الباحث **لفظة** من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية. وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وقد أصبح كثير من الكلمات القرآنية مصطلحات قرآنية كـ: (الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا اللون كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، مما أبقى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية..

أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن، وأظهروا بذلك لوناً من البلاغة والإعجاز القرآني، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة،لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل، وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها: (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) أصدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض)، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها..

2 ـ النوع الثاني: دراسة السورة

قصر بعضهم التفسير الموضوعي على دراسة السورة القرآنية باعتبارها تتضمن موضوعاً واحداً تدور كل مقاطع السورة في المحصلة حوله، ولذلك عادة ما يقوم الباحثون والمفسّرون بتحديد الموضوع في بداية التفسير، وهو أمر يشبه –إلى حد بعيد– طريقة سيد قطب في ظلاله، ويجري تحديد مدلول باقي السورة بناء على هذا التحديد المسبق، الذي يقام عادة بالاستقراء.

وتعتبر أهم دراسة –حتى الآن– هي دراسة الدكتور محمود البستاني "عمارة السورة القرآنية" التي طبعت مؤخراً، وأهمية هذه الدراسة أنها تبحث عن قوانين تحدد الأساس الموضوعي الذي يقوم عليه بناء السورة القرآنية من خلال القرآن الكريم كله.

3. النوع الثالث: دراسة الموضوعات

هذا النوع هو الأكثر شهرة، والأكثر تبادراً إلى الذهن عند إطلاق تعبير **"التفسير الموضوعي"**، ويتوقف هذا التفسير على **تحديد "الموضوع"** الذي يجب أن يُدرس، **والمشكلة الأساسية أن هذا النوع من التفسير لا يمكن أن يشكل تفسيراً كاملاً للقرآن**، شأنه شأن دراسة المفردة القرآنية التي ذكرناها آنفاً، ذلك أن الموضوعات التي تناولها القرآن يصعب حصرها، فتحديدها بطبيعة الحال اجتهاد، والاجتهاد يُختلف فيه –ضرورةً– من حيث كونه ظني الدلالة. **هذا خلافاً للتفسير الموضوعي الذي يعتمد السور.**

وحول تحديد موضوع ما، وذلك أن يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد لموضوع معين بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، أو تطرأ مشكلة أو تطرح قضية فيراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلى عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة، تدلنا على أن القرآن دستور حياة، ومنهج عمل، فيه الشمول والعموم والكمال والبيان.

وخلاصتها: أنه ليس بمستغرب أن يجد باحث اهتمام القرآن صريحاً بموضوع معين فيرى جوانب معالجة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية، ولكن الغريب حقاً أن تقترح موضوعاً فتلج إلى عالم القرآن كأنما أنزل فيه فيدهشك أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله.

وطريقة الكتابة في هذا اللون تتم باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بها تفسيراً وتأملاً يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات، ثم ينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلى أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع.

ويكون منطلق العرض والاستدلال والدراسة هو آيات القرآن الكريم لا غير، مع ربط كل ذلك بواقع الناس ومشكلاتهم، وإن ذكر شيء من غير القرآن في الموضوع فيذكر من باب الاعتضاد لا الاعتماد.

وعلى الباحث أن يتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات، فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب ونحو ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتصالاً أساسياً مباشراً. والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومقاصده، ليتمكن القارئ من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق وجودة السبك والحبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات، وبيان الإشارات بأوضح العبارات. وسبق أن هذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وحتى أن اسم (التفسير الموضوعي) لا يكاد ينصرف إلا إليه، والمتتبع لهذا يجده جلياً، وسبب ذلك يتلخص في أمرين:

ا – غزارة الموضوعات التي طرقها القرآن وأشبعها دراسة وبحثاً.

2 – تجدد الموضوعات والمشكلات التي تحتاج إلى بحث من وجهة نظر قرآنية فالأولون صدروا[8] من القرآن، والآخرون وردوا إلى القرآن. وكلاهما بحر ولا ساحل له، لا تكاد تنتهي موضوعاته أو تقف عند حد.

---

[8] ـ نقول ورد الرجل الماء وصدر عنه، قدمه ليورد ابله ولتشرب الماء، كما جاء في الاثر بأن الصحابة كانوا كالاخاد والاخاد بِرِكة الماء من الغدير وتتمة الحديث فالاخاد يروي الرجلين، والاخاد يروي الثلاثة والاخاد لو ورده العشرة لاصدرهم، فهذا الحديث فيه تشبيه لحال الصحابة في علمهم.

3 – **البحث عن موضوع من خلال سورة من القرآن؛ بتحديد الهدف الأساسي للسورة أو غيره من الأهداف ودراسته من خلال تلك السورة.** وهذا اللون شبيه بسابقه إلا أن دائرته أضيق.

وطريقة البحث فيه: أن يحدد الباحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف متعددة ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتقسيمها وتبويبها، ثم يدرس علاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة، وانتهاءً بخاتمتها، مع التعرف على أسباب نزولها، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة عنوان البحث، وسيجد الباحث الصلة بينه وبين الرابطة جلية عند إحالة النظر وإمعان الفكر، وسيعلم أن للسورة هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه، وتفصيل جوانبه وأبعاده، وكل سورة من القرآن لها شخصية مستقلة تعلم عند البحث فيها، بل ويمكن أن يكون للسورة أهداف متعددة بينها من الترابط والتعاضد والتداخل شيء يصعب معه التفريق بينهما أو إفراد إحداها بالبحث مع إغفال البواقي.

وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة وأما غيرها فتذكر استئناساً لا تأسيساً، وتوكيداً لا تأصيلاً، واستشهاداً لا استناداً.

وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم الإشارات إلى بعض أهداف السورة ومحاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها، كالذي فعله البقاعي في كتابه: (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**). وأما **في العصر الحديث** فقد أهتم به سيد قطب في تفسيره (الظلال) حيث يقدم لكل سورة ببيان **أهدافها الرئيسية أو هدفها الوحيد، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه**، ومشى على نفس المنوال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، في تفسيره التحرير والنوير، وعليه سار أيضا القاسمي في تفسيره محاسن التأويل.

وهذه **الأنواع للتفسير الموضوعي** يبدو أنه لا يزال هناك اختلافٌ حولها، **وما يزال كل نوع منها يُعتمد مستقلاً عن الآخر**، بحيث **يعسر علينا العثور على تفسير واحد يجمع الأنواع كلها مجتمعةً**، وهو ما نراه الآن ضرورياً لمناهج التفسير، وبالتالي ربما ثمة حاجة الآن لإنشاء منهج يمزج كل الأنواع ويؤسس للعلاقة بينها وطريقة عملها والأدوات العلمية اللازمة لكل منها، ويكون ذلك بدون تكلف.

مشاكل التفسير الموضوعي أو بعض أنواعه

. المشكلة الأساسية أن التفسير الموضوعي المبني على **دراسة الموضوع كما سبقت الإشارة إليه لا يمكن أن يشكل تفسيراً كاملاً للقرآن**، شأنه شأن دراسة المفردة القرآنية.

. مشكلة أخرى وهي أن التفسير الموضوعي يعتمد على الدراسة الداخلية للقرآن، أي الاعتماد على مبدأ تفسير القرآن بالقرآن، والاكتفاء به، وهو ما يوقعه في إشكالية غاية في الخطورة، ذلك أن هناك مصدراً آخر هو السنة النبوية الشريفة غير مأخوذة بالحسبان عند

البعض. وإذا كنا لا نرى دمجها مباشرة بالدراسة الموضوعية للقرآن التي أثبتت جدواها وأهميتها باعتمادها على القراءة الداخلية للقرآن، **فإننا ننبه إلى ضرورة اعتمادها كخطوة ثانية في التفسير الموضوعي، بحيث يتم المواءمة بين نتائج التفسير الموضوعي ونصوص السنة الشريفة بوصفها مبينة للقرآن وتابعة له** في وقت واحد.

ومن المشكلات التي تواجه المفسّر في طريقه:.

أن التفسير الموضوعي ليس بأن تجعل فهارس الآيات أمامك وتجمع الآيات التي يرد فيها ذكر لكلمات المواضيع التي تريد البحث فيها، مثل الجهاد والتقوى لأن الكثير من الآيات تتكلم حول هذه المواضيع بدون أن تُذكر فيها كلمة التقوى أو الجهاد وأمثال هذا كثير.

ولا بأس هنا أن نذكر مثالا واحداً، نحن نعلم أن الله سبحانه «رحمن» و«رحيم» و«أرحم الراحمين» وهذا المعنى منعكس في الكثير من آيات القرآن، ولكن توجد آيات تبيّن هذه الحقيقة بدون استعمال مادة «رحم» منها الآية (61) من سورة النحل {وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلْمِهِم ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دابة}.

ونفس هذا المعنى مع اختلاف يسير ذكر في الآية (45) من سورة فاطر {وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلْمِهِم ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دابَّة}هاتان الآيتان تشيران إلى رحمة الله ولطفه المطلق على عباده من غير أن تُستعمل مادة (رحم) في الايتين.

ومشكلة أخرى وهي: مشكلة جمع الآيات وأخذ النتيجة منها، فهذه العملية تحتاج الى دقة وظرافة وذوق ووعي كامل وإحاطة تامّة بالآيات القرآنية والتفاسير، وعندما تكون الآيات المرتبطة بموضوع ما كثيرة ويكون لكل منها بعدٌ خاصٌ بها فان الجمع سيكون أكثر تعقيداً.

مضافاً إلى ذلك فانَّ التفسير الموضوعي لا يزال يخطو خطواته الأولى ولم يُبذل فيه سعي وعمل كثير. وهذا يجعل أمر البادئين بهذا العمل صعباً ومعقداً ويختلف كثيراً عن التفسير المعتاد المتّبع منذ نزول القرآن.

ومشكلة أخرى أيضاً، وهي أن موضوعات القرآن الكريم هذا الكتاب الإلهي العظيم لا حدّ لها ولا حساب ففيه المسائل العقائدية والعملية، وفيه المسائل الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وآداب العشرة وأحكام الحرب والسلم وتاريخ الأنبياء وأُمور الكون و..

وفي كل واحدة من هذه الأمور موضوعات كثيرة بحثها القرآن. ومناقشة كل هذه المسائل تحتاج إلى وقت طويل وصدر واسع.

وأحياناً تبحث الآية الواحدة في التفسير الموضوعي أبحاثاً عديدة من جهات مختلفة، وفي كل بُعد من أبعادها يجب بحث فصل خاص به، في حين تفسر الآية في التفسير الترتيبي تفسيراً واحداً فقط.

نشأة التفسير الموضوعي

لم يظهر هذا المصطلح عَلَماً على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة من قبل.

ويمكن القول بأن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية، وقد سبق التطرق لبعض منها:

1 – تفسير القرآن بالقرآن: لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: {وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ}[9]، فقال: مفاتح الغيب خمسة: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[10].

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة – رضوان الله عليهم – من الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

2 – آيات الأحكام: قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

3 – الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي: المال: كقوله {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْراً}[11]، والإيمان كقوله: {ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ}[12]، والإسلام كقوله: {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ}[13]، وبمعنى أفضل كقوله: {وأَنتَ

---

[9] . سورة الأنعام، الآية 59.

[10] . سورة لقمان، الآية 34.

[11] . سورة البقرة، الآية 180.

[12] . سورة الأنفال، الآية 23.

[13] . سورة القلم، الآية 2.

خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}[14]، والعافية كقوله: {وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[15]، والأجر كقوله: {لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ}[16]، والطعام كقوله:{فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[17]،، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله: {وَرَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً}[18]

وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن **موضوعات القرآن** حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

4 – الدراسات في علوم القرآن: اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر.

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. لكن بروزه لوناً من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصُر الأخيرة – تلبية لحاجات أهلها – التى وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والموضوعات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس، علمه من علمه، وجهله من جهله، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ}[19].

---

[14] . سورة "المؤمنون"، الآية 109.

[15] . سورة الأنعام، الآية 17.

[16] . سورة الحج، الآية 36.

[17] . سورة القصص، الآية 24.

[18] . سورة الأحزاب، الآية 25.

[19] . سورة الملك، الآية 14.

أهمية التفسير الموضوعي

ويمكن تلخيص أجدر جوانبها في الأمور التالية:

الأول: إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة – من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري – وجدها المفسر جلية في آيات القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه.

الثاني: التأكيد على أهمية **تفسير القرآن بالقرآن**، الذي هو أعلى وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاضد جهودنا لبيانه، فَنُكفى بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته، لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه.

الثالث: إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع آيات القرآن، ومحاولة استنباط ما يجب نحو كل أولئك.

إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن والسنة يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع، وعلى ضوء هدايات القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يَجدّ على الساحة.

الرابع: إثراء المعلومات حول قضية معينة: غالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال التفسير الموضوعي بحيث تتبين لذوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة.

خامساً: تأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها عن طريق التفسير الموضوعي

لقد نالت بعض علوم القرآن حظاً وافراً من البحث والدراسة، إلا أن هناك علوماً أخر برزت جديدة تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يؤمن عثارها مثل (**الإعجاز العلمي في القرآن**)، فقد كثر الكاتبون حوله إلا أنه بحاجة ماسة إلى ضبط قواعده لِيُتَجَنَب الإفراط فيه أو التفريط، وهذا إنما يتم عبر دراسة موضوعية لآيات القرآن وهداياته في هذا المجال.

وهناك علوم ودراسات قائمة منذ القدم لكن المسار الذي تنتهجه يحتاج إلى تصحيح وتعديل، وإعادة تقويم كعلم التاريخ الذي أخذ منهجاً في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في الكون والمجتمع، علماً بأن هذه السنن قد أبرزتها آيات القرآن خلال قصصه بشكل واضح، وهناك انحرافات مبثوثة في كتب التاريخ تخالف ما نص عليه في القرآن الكريم، ولن يتم تعديلها وتقويم مثل هذه العلوم إلا بطريق استقصاء منهج القرآن في عرضها ودراستها..

لماذا لم ينْمُ هذا الموضوع من التفسير نمواً كافياً؟

يبدو أن جواب هذا السؤال قد اتّضح من الأبحاث السابقة، فالمشكلات الكثيرة في طريق التفسير الموضوعي، قد منعت من نموّهِ خاصة، وأن التفسير الموضوعي يحتاج الى معاجم دقيقة وجامعة، بحيث يمكن استخراج الآية منها بسهولة ولم تكن توجد في السابق، ولكنه اليوم بحمد الله في متناول الأيدي.

ومن الطريف ما جاء في مقدمة المعجم القرآني المعروف بـ: «المعجم المفهرس لألفاظِ القرآن الكريم» حيث قال: (ان المتقدمين اهتموا كثيراً بالعلوم القرآنية ولكن لم يهتموا بإعداد معجم دقيق لتعيين آيات القرآن، والسبب في ذلك أن أغلبهم كان من حفظة القرآن)!

وكون الإنسان حافظاً للقرآن لا يجعله مستغنياً عن المعجم، الذي هو وسيلة لابدّ منها من أجل التفسير الموضوعي (وإن كانت لوحدها ليست كافية)، وهذا العمل لم يتم في السابق إلاّ بنحو ناقص ودون الهدف أحياناً.

ولابدّ من الإشارة الى مسألة هنا وهي أن جمعاً من العلماء الغربيين والأجانب المحبين للقرآن المجيد بذلوا أتعاباً من أجل إعداد معاجم لهذا الكتاب السماوي ومن نماذجها المعتبرة كتاب «نجوم الفرقان في أطراف القرآن» إعداد المستشرق الألماني «فلو گل» وتأليفات أُخرى بواسطة المسلمين مثل «مفتاح كنوز القرآن» وكتاب «فتح الرحمن».

وبناءً على تصريح مقدمة «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» فان هؤلاء هم الذين أمكنوا المؤلف على إعداد هذا المعجم الغني البديع وجعلهِ في متناول أيدي علماء الإسلام.

وآخر ما يمكن قوله هنا هو: أنه على الرغم من جميع المشكلات والمعوقات الموجودة في طريق التفسير الموضوعي، فإن بركاته ومعطياته كثيرة بنفس النسبة وخاصة للعلماء والمحققين، حيث تتكشف لهم في ضوئه الحقائق التي تزيدهم إيماناً وقوة ونشاطاً لمواصلة العمل وتؤجج في قلوبهم نار الشوق والمحبة حيث إن مَثَل الآية القرآنية عندما تتحدث حول موضوع ما لوحدها، كمثل النقطة التي اذا اجتمعت مع نقاط أُخرى ورتبت كونت شكلا جذاباً وصورة بديعة لم تكن موجودة من قبل، وهذا أمر مهمّ جداً ويبعث على النشاط والاشتياق.

بحوث وأسئلة:

1- ما هي أنواع التفسير الموضوعي وتعريفاته؟

- منهج التفسير الموضوعي وتطوّره.

سؤال - هل يمكن جمع أنواع التفسير الموضوعي كلها في تفسير واحد؟

سؤال: بيّن مدى الحاجة للسنة في التفسير الموضوعي؟

سؤال: هل هناك وجه حاجة لنوع جديد من التفسير؟ ما هو في نظرك؟

سؤال: هل يمكن الاستغناء عن التفسير التحليلي التجزيئي؟

سؤال - هل يمكن الاستفادة من المناهج الغربية" التي استخدمت لتأويل القرآن وإعادة قراءته؟

- تقييم "المناهج الغربية" وجدواها في دراسة القرآن الكريم تنطلق من رغبة علمانية وليست علمية!

المراجع:

أ- مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم.

2- دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر عواض الألمعي.

3- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات.

4- دراسات في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد السلام محمد. 5- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني للدكتور أحمد جمال العمري.

6 - التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، الدكتور أحمد رحماني.

المقاصد الأصلية التي جاء القرآن الكريم لتبيانها

[20] . تكوين الجامعة الإسلامية، مصطلح خاص بابن عاشور يقصد به تكوين المجتمع الإسلامي ورعايته.

المخطط أعلاه فكرته مستفادة من المقدمة الرابعة من مقدمات تفسير ابن عاشور: "فيما يصح أن يكون غرض المفسر".

فواصل الآي

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الداني كلمة آخر الجملة. قال الجعبري وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ: يوم يأت وما كنا نبغ وليسا رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية. وقال القاضي أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية. قال ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي يوم يأت وما كنا نبغ وليسا رأس آيتين بإجماع مع إذا يسر وهو رأس آية بإتفاق. وقال الجعبري لمعرفة الفواصل طريقان توقيفي وقياسي أما التوقيفي فما ثبت أنه وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة ولا نقصان وإنما غايته إنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرنية وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى يرجعون مع عليم والميعاد مع الثواب والطارق مع الثاقب.

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة ومن ثم أجمع العادون على ترك عد ويأت بآخرين ولا الملائكة المقربون في النساء وكذب بها الأولون بسبحان ولتبشر به المتقين بمريم ولعلهم يتقون بطه ومن الظلمات إلى النور وأن الله على كل شيء قدير بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه وعلى ترك عد أفغير دين الله يبغون بآل عمران وأفحكم الجاهلية يبغون بالمائدة وعدوا نظائر للمناسبة نحو لأولى الألباب بآل عمران وعلى الله كذبا بالكهف والسلوى بطه وقال غيره تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهي لطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنده الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها وأخذا من قوله تعالى كتاب فصلت آياته ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه وخاصة في الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة الكتاب الله تعالى فلا تتعداه. وهل يجوز استعمال السجع في القرآن خلاف الجمهور على المنع لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها.

قال الرماني في إعجاز القرآن ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن سجع وفرقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري وأصحابنا كلهم قال وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون ولمكان السجع قيل في موضع هارون وموسى ولما كانت الفواصل موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهارون قالوا وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي تسميه شعرا وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة هو موالاة الكلام على حد واحد. وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه رددت صوتها قال القاضي وهذا غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر وقد قال أسجع كسجع الكهان فجعله مذموما. قال وما توهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى. قال وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من أخل به وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متداني المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة في ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود. قال وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكررا ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز دون السجع إلى أن قال فبان بذلك أن الحروف الواقعة في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخلها في بابا السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا نحن نعارضه

بسجع معتدل يزيد في الفصاحة على طريقة القرآن. انتهى كلام القاضي في كتاب الإعجاز. ونقل صاحب عروس الأفراح عنه أنه ذهب في الانتصار إلى جواز تسمية الفواصل سجعا. وقال الخفاجي في سر الفصاحة قول الرماني إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله قال وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض في التسمية قريب والحقيقة ما قلناه، قال والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل، قال فإن قيل إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعا وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع قلنا إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لا سيما مع طول الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منهم على عرفهم في اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة. وقال ابن النفيس يكفي في حسن السجع ورود القرآن به قال ولا يقدح في ذلك خلوه في بعض الآيات لأن الحسن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسن منه. قال حازم من الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف إلا ما يقع الإلمام به في النادر من الكلام. ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدا ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام فقد يدعو إلى التكلف فرئي ألا يستعمل في جملة الكلام وألا يخلي الكلام منه جملة وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف قال وكيف يعاب السجع على الإطلاق وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم وإنما لم يجيء على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض أي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل.

فصل: ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه إحكام الراي في أحكام الآي قال فيه: اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما:

أحدها: تقديم المعمول إما على العامل نحو أهولاء إياكم كانوا يعبدون قيل ومنه وإياك نستعين أو على معمول آخر أصله التقديم نحو لنريك من آياتنا الكبرى إذا أعربنا الكبرى مفعول نري أو على الفاعل نحو ولقد جاء آل فرعون النذر. ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ولم يكن له كفوا أحد.

الثاني: تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو فلله الآخرة والأولى ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله له الحمد في الأولى والآخرة.

الثالث: تقديم الفاضل على الأفضل نحو برب هارون وموسى وتقدم ما فيه.

الرابع: تقديم الضمير على ما يفسره نحو فأوجس في نفسه خيفة موسى.

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا.

السادس: حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال يوم التناد.

السابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو والليل إذا يسر.

الثامن: حذف ياء الإضافة نحو فكيف كان عذابي ونذر فكيف كان عقاب.

التاسع: زيادة حرف المد نحو الظنونا والرسولا والسبيلا ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو لا تخاف دركا ولا تخشى سنقرؤك فلا تنسى على القول بأنه نهى.

العاشر: صرف مالا ينصرف نحو قواريرا قواريرا.

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس كقوله أعجاز نخل منقعر.

الثاني عشر: إيثار تأنيثه نحو أعجاز نخل خاوية ونظير هذين قوله في القمر وكل صغير وكبير مستطر وفي الكهف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك كقوله تعالى فأولئك تحروا رشدا ولم يجئ رشدا في السبع وكذا وهيئ لنا من أمرنا رشدا لأن الفواصل في السورتين محركة الوسط وقد جاء في وإن يروا سبيل الرشد وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة تبت يدا أبي لهب وتب بفتح الهاء وسكونها ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهب إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة.

الرابع عشر: إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الإسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين لم يطابق بين قولهم آمنا وبين ما ورد به فيقول ولم يؤمنوا أو ما آمنوا لذلك.

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولم يقل الذين كذبوا.

السادس عشر: إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظتين نحو قسمة ضيزى ولم يقل جائرة لينبذن في الحطمة ولم يقل جهنم أو النار وقال في المدثر سأصليه سقر وفي سأل إنها لظى وفي القارعة فأمه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو وليذكر ولو الألباب وفي سورة طه إن في ذلك لآيات لأولى النهى.

التاسع عشر: حذف المفعول نحو فأما من أعطى واتقى ما ودعك ربك وما قلى ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو يعلم السر وأخفى خير وأبقى.

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى.

الحادي والعشرون: الاستغناء به عن الجمع نحو واجعلنا للمتقين إماما ولم يقل أئمة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون إن المتقين في جنات ونهر أي أنهار.

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الفراء أراد جنة كقوله فإن الجنة هي المأوى فثنى لأجل الفاصلة. قال والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام. ونظير ذلك قول الفراء في قوله تعالى إذ انبعث أشقاها فإنهما رجلان قدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة. وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال إنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف فأما أن يكون الله وعد بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآي معاذ الله وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ذواتا أفنان ثم قال فيهما وأما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفراء أنه أراد جنات فإطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد قال وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون.

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو لا بيع فيه ولا خلال أي ولا خلة كما في الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة.

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رأيتهم لي ساجدين كل في فلك يسبحون.

السادس والعشرون: إمالة ما لا يمال كآي طه والنجم.

السابع والعشرون: الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو هو القادر وعالم الغيب ومنه {وما كان ربك نسيا}.

الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو إن هذا لشيء عجاب أوثر على عجيب لذلك.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى.

الثلاثون: إيقاع الظاهر موضع المضمر نحو والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين وكذا آية الكهف.

الحادي والثلاثون: وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا كان وعده مأتيا أي ساترا وآتيا.

الثاني والثلاثون: وقوع فاعل موقع مفعول نحو في عيشة راضية من ماء دافق.

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة نحو أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى إن أعرب أحوى صفة المرعى أي حالا.

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره نحو بأن ربك أوحى لها والأصل إليها.

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ومنه الرحمن الرحيم رءوف رحيم لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو وما لأحد عنده من نعمة تجزي.

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت نحو ماليه سلطانيه ماهيه.

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات نحو ثم لا تجد لك به علينا تبيعا فإن الأحسن الفصل بينها إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال نحو ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون والأصل قتلتم.

الأربعون: تغيير بنية الكلمة نحو وطور سينين والأصل سينا.

تنبيه: قال ابن الصائغ لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه.

فصل: قال ابن أبي الإصبع لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال التمكين.

فالتمكين: ويسمى ائتلاف القافية أن يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيدا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه. ومن أمثلة ذلك يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك الآية فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال. وقوله أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى قوله أفلا يبصرون فأتى في الآية الأولى يهد لهم وختمها بـ: يسمعون لأنه الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون وفي الثانية بـ: يروا وختمها بـ: يبصرون لأنها مرئية وقوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبر يناسب ما يدركه وقوله ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين فإن في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما

قبلها وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال أملى علي رسول الله هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله خلقا آخر قال معاذ بن جبل فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله فقال له معاذ مم ضحكت يا رسول الله قال بها ختمت.

وحكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يكن يقرأ القرآن فقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ومر بهما رجل فقال كيف تقرأ هذه الآية فقال الرجل فاعلموا أن الله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.

تنبيهات: الأول: قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها كأوائل النحل فإنه تعالى بدأ يذكر الأفلاك قال خلق السموات والأرض بالحق ثم ذكر خلق الإنسان من نطفة ثم خلق الأنعام ثم عجائب النبات فقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون فجعل مقطع هذه الآية التفكر لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا فأجاب تعالى عنه عن وجهين:

أحدهما: أن تغيرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الأفلاك فتلك الحركات كيف حصلت فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل وإن كان من الخالق الحكيم فذاك إقرار بوجود الإله تعالى وهذا هو المراد بقوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجعل مقطع هذه الآية العقل وكأنه قيل إن كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الإله القادر المختار.

والثاني: أن نسبة الكواكب والطبائع إلى أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد فلو كان المؤثر بالذات موجبا لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار فعلمنا أن المؤثر قادر مختار وهذا هو المراد من قوله وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون كأنه قيل اذكر ما ترسخ في عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكر. ومن ذلك قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. الآيات فإن الأولى ختمت بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم تتقون لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته. وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل

طريق. وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الحي الكريم. وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل فحسن بعد ذلك تعقلون وأما الثانية فلتعلقها بالحقوق المالية والقولية فإن من علم أن له أيتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يحب أن يعامل به أيتامه ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا بخس وكذا من وعد لو وعد لم يحب أن يخلف ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله فلذلك ناسب الختم بقوله لعلكم تذكرون وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد إلى غضبه وإلى عقابه فحسن لعلكم تتقون أي عقاب الله بسببه. ومن ذلك قوله في الأنعام أيضا وهو الذي جعل لكم النجوم الآيات فإنه ختم الأولى بقوله لقوم يعلمون والثانية بقوله لقوم يفقهون والثالثة بقوله لقوم يؤمنون وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه ب يعلمون وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت والنظر في ذلك والفكر فيه أدق فناسب ختمه ب: يفقهون لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه. ومن ذلك قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون حيث ختم الأولى ب تؤمنون والثانية ب تذكرون ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله قليلا ما تؤمنون وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فتحتاج إل تذكر وتدبر لأن كلا منهما نثر فليست مخالفته له في وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة فحسن ختمه بقوله قليلا ما تذكرون.

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى في سورة إبراهيم وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الأنسان لظلوم كفار ثم قال في سورة النحل وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم قال ابن المنير كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونك ظلوما وكونك كفارا يعني لعدم وفائك بشكرها ولي عند إعطائها وصفان وهما إني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء وقال غيره إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات لألوهيته ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون وفي فصلت ختم بقوله وما ربك بظلام للعبيد ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون فناسب الختام بفاصلة البعث لأن قبله وصفهم بإنكاره وأما الثانية فالختام فيها مناسب لأنه لا يضيع عملا صالحا ولا يزيد على من عمل سيئا. وقال في سورة النساء إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ثم أعادها وختم بقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ونكتة ذلك أن الأولى نزلت في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما

ليس في كتابه والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد ونظيره قوله في المائدة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ثم أعادها فقال فأولئك هم الظالمون ثم قال في الثالثة فأولئك هم الفاسقون ونكتته أن الأولى نزلت في أحكام المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى وقيل الأولى فيمن جحد ما أنزل الله والثانية فيمن خالفه مع علمه ولم ينكره والثالثة فيمن خالفه جاهلا وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار.

وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف كقوله في سورة النور يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم.

التنبيه الثاني: من مشكلات الفواصل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فإن قوله وإن تغفر لهم يقتضي أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم وكذا نقلت عن مصحف أبي وبها قرأ ابن شنبوذ وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أي الغالب والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله وقد يخفي وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان في الوصف بالحكيم إحتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيا فعلته.

ونظير ذلك قوله في سورة التوبة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وفي سورة الممتحنة واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم وفي غافر ربنا وأدخلهم جنات عدن إلى قوله إنك أنت العزيز الحكيم وفي النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فإن بادئ الرأي يقتضي: تواب رحيم. لأن الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة. ومن خفي ذلك أيضا قوله في سورة البقرة: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم. وفي آل عمران: قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير. فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة وفي آية آل عمران الختم بالعلم. والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم. وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها بصفة القدرة. ومن ذلك قوله: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا. فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادى الرأي، وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر في الآية وهو العصيان كما جاء في الحديث: لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا ولرص رصا. وقيل التقدير حليما عن تفريط

المسبحين غفورا لذنوبهم. وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بأهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه.

التنبيه الثالث: في الفواصل ما لا نظير له في القرآن كقوله عقب الأمر بالغض في سورة النور: إن الله خبير بما يصنعون. وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة: لعلهم يرشدون وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها.

التصدير: وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية وتسمى أيضا رد العجز على الصدر. وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام: الأول أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو: أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا. والثاني أن يوافق أول كلمة منه نحو: وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. قال إني لعملكم من القالين.

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو: ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا إلى قوله: وقد خاب من افترى. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا.

التوشيح: وأما التوشيح فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية.

والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى إن الله اصطفى آدم. الآية فإن اصطفى لا يدل على أن الفاصلة العالمين باللفظ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون وكقوله: وآية لهم الليل الآية قال ابن أبي الإصبع فإن من كان حافظا لهذه السورة متفطنا إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة: مظلمون لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم أي دخل في الظلمة ولذلك سمى توشيحا لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يحوط عليها الوشاح.

الإيغال: وأما الإيغال فقد ذكره السيوطي في الاتقان في نوع الإطناب.

فصل في أقسام الفواصل: قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام مطرف ومتواز ومرصع ومتوازن ومتماثل.

فالمطرف: أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع نحو: ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا.

والمتوازي: أن يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما في الأولى مقابلا لما في الثانية في الوزن والتقفيه نحو: فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة.

والمتوازن: أن يتفقا في الوزن دون التقفية نحو: ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة.

والمرصع: أن يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلا لما في الثانية كذلك نحو: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم. إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم.

والمتماثل: أن يتساويا في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي نحو: وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير.

فصل: بقي نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل:

أحدهما: التشريع: سماه ابن أبي الأصبع التوأم وأصله أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فإذا أسقط منها جزءا أو جزءين صار الباقي بيتا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون في النثر بأن يبنى على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاما مفيدا. وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ. قال ابن أبي الإصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون فبأي آلاء ربكما تكذبان. لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فأفاد معنى زائدا من التقرير والتوبيخ. قلت التمثيل غير مطابق والأولى أن يمثل بالآيات التي في إثباتها ما يصلح أن تكون فاصلة كقوله: لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما. وأشباه ذلك.

الثاني: الالتزام: ويسمى لزوم ما لا يلزم وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعدا قبل الروي بشرط عدم الكلفة. مثال التزام حرف فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر. التزم الهاء قبل الراء ومثله: ألم نشرح لك صدرك. الايات التزم فيها الراء قبل الكاف. فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. التزم فيها النون المشددة قبل السين. والليل وما وسق والقمر إذا اتسق. ومثال التزام حرفين: والطور وكتاب مسطور. ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون. بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق.

ومثال التزام ثلاثة أحرف: تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون.

تنبيهات:الأول: قال أهل البديع أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو: في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود. ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى. أو الثالثة نحو: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة. الآية. وقال ابن الأثير الأحسن في الثانية المساواة وإلا فأطول قليلا وفي الثالثة أن تكون أطول. وقال الخفاجي لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى.

الثاني: قالوا أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشئ وأقله كلمتان نحو: يا أيها المدثر قم فأنذر. الآيات. والمرسلات عرفا. الآيات. والذاريات ذروا. الآيات. والعاديات ضبحا. الآيات.

والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر.

الثالث: قال الزمخشري في كشافه القديم لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة وبني على ذلك أن التقديم في: وبالآخرة هم يوقنون: ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص.

الرابع: مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله: إنا خلقناهم من طين لازب مع قوله: عذاب واصب وشهاب ثاقب، وقوله: بماء منهمر مع قوله: "قد قدر" ودسر مستمر. وقوله: وما لهم من دونه من وال مع قوله وينشيء السحاب الثقال.

الخامس: كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

السادس: حروف الفواصل إما متماثلة وإما متقاربة. فالأولى مثل: والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور. والثاني مثل: الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. قال الإمام فخر الدين وغيره وفواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة قال وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد الفاتحة سبع آيات مع البسملة وجعل صراط الذين إلى آخرها آية فإن من جعل آخر الآية السادسة أنعمت عليهم مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة لا بالمماثلة ولا بالمقاربة ورعاية التشابه في الفواصل لازمة.

السابع: كثر في الفواصل التضمين والإيطاء لأنهما ليسا بعيبين في النثر وإن كانا عيبين في النظم فالتضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل. والإيطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الإسراء: هل كنت إلا بشرا رسولا. وختم بذلك الآيتين بعدها.

فواتح السور

قال السيوطي في الاتقان: أفردها بالتأليف ابن أبي الأصبع في كتاب سماه: "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح" وأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره.

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى والثناء قسمان إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص فالأول التحميد في خمس سور وتبارك في سورتين والثاني التسبيح في سبع سور. قال الكرماني في متشابه القرآن التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر لأنه أسبق الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

الثاني: حروف التهجي في تسع وعشرين سورة وقد مضى الكلام عليها مستوعبا في نوع المتشابه ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات.

الثالث: النداء في عشر سور خمس بنداء الرسول الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر وخمس بنداء الأمة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة.

الرابع: الجمل الخبرية: نحو: يسألونك عن الأنفال. براءة من الله. أتى أمر الله. اقترب للناس حسابهم.قد أفلح المؤمنون. سورة أنزلناها. تنزيل الكتاب الذين كفروا إنا فتحنا اقتربت الساعة الرحمن علم قد سمع الله الحاقة سأل سائل إنا أرسلنا نوحا لا أقسم في موضعين عبس إنا أنزلناه لم يكن القارعة ألهاكم إنا أعطيناك فتلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة سورة أقسم فيها بالملائكة وهي والصافات وسورتان بالأفلاك البروج والطارق وست سور بلوازمها فالنجم قسم بالثريا والفجر بمبدأ النهار والشمس بآية النهار والليل بشطر الزمان والضحى بشطر النهار والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان. وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة التي هي منها أيضا وهي الطور وسورة بالنبات وهي والتين وسورة بالحيوان الناطق وهي والنازعات وسورة بالبهيم وهي والعاديات.

السادس: الشرط في سبع سور الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر.

السابع: الأمر في ست سور قل أوحي اقرأ قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد قل أعوذ المعوذتين.

الثامن: الاستفهام في ست سور عم يتساءلون هل أتاك ألم نشرح ألم تر أرأيت.

التاسع: الدعاء في ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت.

العاشر: التعليل في لإيلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر إلا سبح فإنه في قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر الدعاء والخبر. ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبوت الحمد والسلب لما استفتح السورا

والأمر شرط الندا والتعليل والقسم الدعا حروف التهجي استفهم الخبرا

وقال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ

وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب قالوا وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك. ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان أخبرنا أبو القاسم بن حبيب أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ أنبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة بـ: رب العالمين الرحمن الرحيم. ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ: الذين أنعمت عليهم. ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ: مالك يوم الدين. وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ: إياك نعبد وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة بـ: إياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم. وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة. وكذلك أول سورة: اقرأ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفه فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين

وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: علم الإنسان ما لم يعلم. ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

خواتم السور

هى أيضا مثل الفواتح فى الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال ففصل جملة ذلك بقوله: الذين أنعمت عليهم. والمراد المؤمنون ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم ثم وصفهم بقوله: غير المغضوب عليهم ولا الضالين. يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده. وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة. وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران. والفرائض التي ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي ولأنها آخر ما أنزل من الأحكام وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة. وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام. وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال.

وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذي ختمت به براءة. وتسليته الذي ختمت به يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به يوسف والوعيد والرد على من كذب الرسول الذي ختم به الرعد. ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: هذا بلاغ للناس . الآية ومثلها خاتمة الأحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. وهو مفسر بالموت فإنها في غاية البراعة. انظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. وانظر براعة آخر آية نزلت وهي قوله: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله. وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة. وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة كما أخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله: إذا جاء نصر الله والفتح. فقالوا فتح المدائن والقصور قال ما تقول يا بن عباس قال أجل ضرب لمحمد نعيت له نفسه. وأخرج أيضا عنه قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم ثم دعاهم ذات يوم فقال ما تقولون في قول الله: إذا جاء نصر الله والفتح: فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا بن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله أعلمه به قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. فقال عمر إني لا أعلم منها إلا ما تقول.

مناسبات الآيات والسور

أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن. ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته: تناسق الدرر في تناسب السور".

وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. قال ابن العربي في: سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه. وقال غيره أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقال الشيخ ولي الدين الملوي قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له انتهى.

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر فصل: المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما إلا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به. فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها. وقوله: والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون. للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض. ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك.

وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط. وله أسباب:

أحدها التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق. عقب قوله: أولئك هم المؤمنون حقا فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد أن كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

الثاني: لمضادة: قوله في سورة البقرة: إن الذين كفروا سواء عليهم. الآية فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

فإن قيل هذا جامع بعيد لأن كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات والمقصود بالذات هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول قيل لا يشترط في الجامع ذلك بل يكفي التعلق على أي وجه كان ويكفي وجه الربط ما ذكرناه لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الإيمان ولهذا لما فرغ من ذلك قال: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فرجع إلى الأول.

الثالث الاستطراد: كقوله تعالى: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوأتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير. قال الزمخشري هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى. وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون. فإن أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة. ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما.

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم في قوله لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف. وقال إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول.

وانظر إلى سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله: واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله: قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين من صفاتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله.

وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم: ولا تخزني يوم يبعثون فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله: يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ.

وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السد بعد دكه الذي هو من أشراط الساعة ثم النفخ في الصور وذكر الحشر ووصف مآل الكفار والمؤمنين.

وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضا. قيل وبهذا يظهر أن ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى بقوله: ومن قوم موسى أمة إلى آخره. وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم.

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بهذا كقوله في سورة ص بعد ذكر الأنبياء: هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب. فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ثم لما فرغ قال: هذا وإن للطاغين لشر مآب فذكر النار وأهلها. قال ابن الأثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن

من الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر ويقرب منه أيضا حسن المطلب قال الزنجاني والطيبي وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله: إياك نعبد وإياك نستعين.

قال الطيبي ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين إلى قوله: رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين.

قاعدة: قال بعض المتأخرين الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة. انتهى.

تنبيه: من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في

سورة القيامة: لا تحرك به لسانك لتعجل به.. الآيات فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسر جدا فإن السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله: ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر. قال يعرض عليه كتابه فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفا فأسرع في القراءة فيقال له: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته. انتهى. وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح أنها نزلت في تحريك النبي لسانه حالة نزول الوحي عليه.

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات:

منها أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر بألا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه.

ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال: كلا. وهي كلمة ردع كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة.

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا كما قال في الكهف: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه إلى أن

قال: ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل الآية. وقال في سبحان: فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم إلى أن قال: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن الآية. وقال في طه: يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا إلى أن قال: فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه.

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى ولو ألقى معاذيره صادف أنه في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته فنزل: لا تحرك به لسانك لتعجل به إلى قوله: ثم إن علينا بيانه ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به. قال الفخر الرازي ونحوه مالو ألقى المدرس على الطالب مثلا مسألة فتشاغل الطالب بشيء عرض له فقال له ألق إلي بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسألة فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسبا للمسألة بخلاف من عرف ذلك.

ومنها أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال.

ومن ذلك قوله تعالى: يسألونك عن الأهلة الآية فقد يقال أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت. وأجيب بأنه من باب الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج كما ثبت في سبب نزولها ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال كما سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته. ومن ذلك قوله تعالى: ولله المشرق والمغرب الآية فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله: ومن أظلم ممن منع مساجد الله. الآية.

وقال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره سمعت أبا الحسن الدهان بقول وجه اتصاله هو أن أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه فإن لله المشرق والمغرب.

فصل: قال السيوطي: من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها وقد أفردت فيه جزءا لطيفا سميته: "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع". وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله فلن أكون ظهيرا للمجرمين وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبي بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعود إليها لقوله في أول السورة: إنا رادوه.

قال الزمخشري وقد جعل الله فاتحة سورة: قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها إنه لا يفلح الكافرون. فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة. وذكر الكرماني في العجائب مثله. وقال في سورة ص: بدأها بالذكر وختمها به في قوله: إن هو إلا ذكر للعالمين. وفي سورة "ن": بدأها بقوله: ما أنت بنعمة ربك بمجنون وختمها بقوله: إنه لمجنون.

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في: فجعلهم كعصف مأكول. لإيلاف قريش. فقد قال الأخفش اتصالها بها من باب: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا. وقال الكواشي في تفسير المائدة لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله: يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.

وقال غيره إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى: وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين. وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل. كما قال تعالى: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به. وكافتتاح سورة البقرة بقوله: آلم ذلك الكتاب. فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: اهدنا الصراط المستقيم. كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر فيها في مقابلة البخل إنا أعطيناك الكوثر. أي الخير الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة فصل أي دم عليها وفي مقابلة الرياء لربك أي لرضاه لا للناس وفي مقابلة منع الماعون: وانحر. وأراد به التصدق بلحم الأضاحي.

وقال بعضهم لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم.

أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم.

الثاني: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها: كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث: للتوازن في اللفظ: كآخر تبت وأول الإخلاص.

الرابع: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح.

قال بعض الأئمة وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى، وأوجب الحج في آل عمران وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت

السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتاب يا بني إسرائيل يأيها الذين آمنوا. وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله: اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة. وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تم الدين فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل دين ولهذا كثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام وذكر فيها أن من ارتد عوض الله خير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب.

وقال أبو جعفر بن الزبير حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر الإشارة إلى قوله: اقرأ. قال القاضي أبو بكر ابن العربي وهذا بديع جدا.

فصل ثاني: قال في البرهان ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به حتى لم يكن لترد الم في موضع الر ولا حم في موضع طس قال: وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الواردة فيها فلو وضع ق موضع ن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها: الراء مائتا كلمة أو أكثر فلهذا افتتحت بـ الر واشتملت سورة: ص على خصومات متعددة فأولها خصومة النبي مع الكفار وقولهم: أجعل الآلهة إلها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى ثم تخاصم إبليس في شأن آدم ثم في شأن بنيه وإغوائهم و الم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي بدء الميعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة. وسورة الأعراف زيد فيها الصاد على الم لما فيها من شرح القصص قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ولما فيها

من ذكر: فلا يكن في صدرك حرج ولهذا قال بعضهم معنى: المص: ألم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد راء لأجل قوله: رفع السموات ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما.

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ألم ذلك الكتاب. الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق المص كتاب أنزل إليك الر تلك آيات الكتاب طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. طسم تلك آيات الكتاب. يس والقرآن ص والقرآن حم تنزيل الكتاب ق والقرآن. إلا ثلاث سور العنكبوت والروم ون ليس فيها ما يتعلق به وقد ذكرت حكمة ذلك في: أسرار التنزيل.

وقال الحزائي في معنى حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال. اعلم أن القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر بدأ فكان المتحلي به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل أمر فلذلك هو قسيم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكتابه كذلك وبدأ المعاد من حين ظهوره فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها وتمت عنده غاياتها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها قوله: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي وفي كل صلاح إقدام وإحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة هي حروف القرآن الستة ثم وهب حرفا جامعا سابعا فردا لا زوج له فتمت سبعة فأدنى تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا فلها حرفان حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهر منه لبعده عن تقويمها والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها وأصل هذين الحرفين في التوراة وتمامهما في القرآن.

ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد أحدهما حرف الزجر والنهى الذي لا تصلح الآخرة إلا بالتطهر منه لبعده عن حسناتها والثاني حرف الأمر الذي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها وأصل هذين الحرفين في الإنجيل وتمامهما في القرآن ويلي ذلك حرفا صلاح الدين أحدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه. فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامهما في القرآن ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى. ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القرآن فالأولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية الآخرة والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي الأمر والنهي الذين يبدأ أمرهما في الدين والرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله: إياك نعبد. والمتشابه في قوله: وإياك نستعين. ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه. انتهى كلام الحراني. والمقصود منه هو الأخير وبقيته ينبو عنه السمع وينفر منه القلب ولا تميل إليه النفس وأنا أستغفر الله من حكايته على أني أقول في مناسبة ابتداء البقرة بـ: الم أحسن مما قال وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر أحد في فهمه ابتدئت البقرة بمقابلة وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيله.

فصل: ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها وقد تقدم في النوع السابع عشر الإشارة إلى ذلك . وفي عجائب الكرماني إنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام

فوائد منثورة في المناسبات: في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي ومن خطه نقلت سأل الأمام ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد وأجاب بأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد نحو: فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله وأجاب ابن الزملكاني بأن سورة سبحان لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة. في تفسير الخوبي ابتدئت الفاتحة بقوله: الحمد لله رب العالمين. فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور في الأنعام وإنزال الكتاب في الكهف وملك ما في السموات وما في الأرض في سبأ وخلقهما في فاطر لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها. في العجائب للكرماني إن قيل كيف جاء: يسألونك أربع مرات بغير واو: يسألونك عن الأهلة يسألونك ماذا ينفقون يسألونك عن الشهر الحرام. يسألونك عن الخمر. ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ويسألونك ماذا ينفقون ويسألونك عن اليتامى ويسألونك عن المحيض قلنا لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا وعن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد فجئ بحرف الجمع دلالة على ذلك فإن قيل كيف جاء: ويسألونك عن الجبال فقل. وعادة القرآن مجئ: قل في الجواب بلا فاء أجاب الكرماني بأن التقدير: لو سئلت عنها فقل. فإن قيل كيف جاء: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب. وعادة السؤال يجئ جوابه في القرآن. بقل: قلنا حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء في أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه.

ورد في القرآن سورتان أولهما: يأيها الناس في كل نصف؛ سورة. فالتي في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ والتي في الثاني على شرح المعاد.

ثانياً: الجانب التطبيقي تفسير سورة الشمس تفسيراً موضوعياً.

سورة البلد

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ(1)وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ(2)وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ(3)**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**(4)أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ(5)يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا(6)أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ(7)أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8)وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9)**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**(10)**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**(11)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(12)فَكُّ رَقَبَةٍ(13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(14)يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ(15)أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ(16)ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(17)**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**(18)وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ(19)عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ(20).

سورة الشمس

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(1)وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا(2)وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا(3)وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا(4)وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا(5)وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(6)**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**(7)**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**(8)**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**(9)**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**(10)كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا(11)إِذِ انْبَعَثَ **أَشْقَاهَا**(12)فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا(13) **فَكَذَّبُوهُ** فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا(14)وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا(15).

سورة الليل

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(1)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(2)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(3)إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(4)فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى(11)إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12)وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى(14)لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(15)الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى(16)وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى(17)الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى(18)وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(19)إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى(20)وَلَسَوْفَ يَرْضَى(21).

سور الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(1)وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(3)تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(4)تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5)لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(6)لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(7)وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(8)لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10)لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً(11)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13)وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15)وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16)أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20)فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(22)إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24)إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26).

سورة الفجر

وَالْفَجْرِ(1)وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2)وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3)وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4)هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ(5)أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(7)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(8)وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي(9)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(10)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ(13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(17)وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(18)وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(19)وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(20)كَلَّا إِذَا دُكَّتْ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(21)وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(22)وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(23)يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(25)وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ(26)يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي(30)

مفردات التطبيق في مادة التفسير الموضوعي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، السنة الثالثة، نظام الـ أل.أم.دي.

أستاذ المادة الدكتور هلال خزاري

يخير الأستاذ الطالب في اختيار موضوع يبحث فيه حسب منهج التفسير الموضوعي، وقد يشترك طالبان في موضوع واحد مع مراعاة تطبيق منهج التفسير الكشفي عن الموضوع فيما يلي من الموضوعات التالية. إلى جانب دراسة تطبيقية للمناسبات بين الآيات والسور فيتخير الطالب أو الطالبة مجموعة من السور يقف عليها في تأمل وتدبر كافيين مع اعطاء الوقت اللازم لذلك للوقوف على المناسبات من خلال المصحف الكريم لعشرين سورة من سور القرآن الكريم مستنبطاً مدوناً المناسبة بين السورة الكريمة من سور القرآن الكريم ولاحقتها والتي تليها مبينا اتحاد موضوعات السور الثلاث أو تقاربها أو العلاقة التي تحكم هذه السور مسترسلا إلى ان يكمل العشرين سورة ثم هو بالخيار بعد ذلك في الوقوف على سور القرآن الكريم كلها 114 سورة. كما ينظر في الفواتح والخواتم لجملة عشر سور من سور القرآن الكريم ينتقيها.

كما هو مطلوب منه أيضاً أن يقوم بدراسة موضوعية لسورة من قصار السور ابتداء من جزء تبارك على آخر القرآن الكريم.

أما الموضوعات المقترحة للتطبيق فيها لتكون أبحاثاً إلى جانب دراستها في المحاضرة فهي:

المال	التجارة في القرآن والسنة "تسعة أعشار الرزق في التجارة"
الأخلاق والتقوى	الأمانة . التوكل . الصبر . الابتلاء . الرضى . اللهو .
العلاج والشفاء	المرض والشفاء في القرآن الكريم . التبرج . التسامح.
الاتصال	تقبل الذات والاخر . الاختلاف . التعاون . الخشوع في الصلاة . التواصل . الاتصال الصحيح الوسائل العملية للدعوة.
الدعوة	الدعوة والبلاغ.

السلوكات	العجلة . الهدوء.
التنمية البشرية	الثقة . السعادة . القيادة . اللأولويات . التغيير الارادة . الإنجاز . الهمة . التفاؤل . أدعية القرآن الكريم . الذكر . الوقت في القرآن . العمل في القرآن . الأمل . الوقاية . الابداع . الصلح . القناعة . الصدق . الكذب . الذكاء . التركيز . الرؤى . النصيحة . النفس البشرية . صلة الرحم . الدعاء . المعرفة والمعلومة . العقل والقلب في القرآن . الاخلاق . الاجتهاد في الدراسة . الاجتهاد في الحياة . العدل . الرحمة . الوقت . الحكمة . الحرية . العفو والصفح . الارشاد والاستشارات . الاتقان . المرأة . العمل والاتقان . دراسة تأملية لفواصل سورة من سور القرآن الكريم.

الدكتــور هـــــلال خـــــزاري

E – Mail: khezzari@yahoo.com

Tel 0773452154